

## مختصر ابن كثير

- 36 - قال قد أوتيت سؤلك يا موسى .
- 37 - ولقد مننا عليك مرة أخرى .
- 38 - إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى .
- 39 - أن أقذفيه في التابوت فاقدفيه في اليم فليلقيه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدوا له وألقىت عليك محبة مني ولتصنع على عيني .
- 40 - إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا .

هذه إجابة من ﷺ لرسوله موسى عليه السلام فيما سأله من ربه ﷺ وتذكير له بنعمه السالفة عليه فيما كان من أمر أمه حين كانت ترضعه وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه حيث كانوا يقتلون الغلمان منبني إسرائيل حذرا من وجود موسى فحكم ﷺ - وله السلطان العظيم والقدرة التامة - أن لا يربى إلا على فراش فرعون ويغذى بطعامه وشرابه مع محبته وزوجته له ولهذا قال تعالى : { يأخذه عدو لي وعدو له ... وألقىت عليك محبة مني } أي عدوك جعلته يحبك قال سلمة بن كهيل { وألقىت عليك محبة مني } قال : حبتك إلى عبادي { ولتصنع على عيني } : تربى بعين ﷺ وقال قتادة : تغذى على عيني وقال ابن أسلم : يعني أجعله في بيت الملك ينعم ويترف وغذاؤه عندهم غذاء الملك فتلk الصنعة . و قوله : { إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها } وذلك أنه لما استقر عند آل فرعون وعرضوا عليه المراضع فأباها قال ﷺ تعالى : { وحرمنا عليه المراضع من قبل } فجاءت أخته وقالت : { هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون } يعني هل أدلكم على من يرضعه لكم بالأجرة فذهبت به وهم معها إلى أمه فعرضت عليه ثديها ففرحوا بذلك فرحا شديدا واستأجروها على إرضاعه فنانها بسببه سعادة ورفعة وراحة في الدين وفي الآخرة أعظم وأجل ولهذا جاء في الحديث : " مثل الصانع الذي يحتسب في صنعته الخير كمثل أم موسى ترضع ولدتها وتأخذ أجرها " وقال تعالى ه هنا : { فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن } أي عليك { وقتلت نفسا } يعني القبطي { فنجيناك من الغم } وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون على قتلها ففر منهم هاربا حتى ورد ماء مدین و قوله : { وفتناك فتونا } . ( حديث الفتون ) : روى الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي في سننه عن سعيد بن جبير قال : سألت عبد الله بن عباس عن قول ﷺ لموسى عليه السلام : { وفتناك فتونا } فسألته عن الفتون ما هو ؟ فقال : استأنف النهار يا أبا جبير فإن لها حديثا طويلا فلما

أصبحت غدوات إلى ابن عباس لأنتجز منه ما وعدني من حديث الفتون فقال : تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم عليه السلام أن يجعل في ذريته أبناء وملوكا فقال بعضهم : إنبني إسرائيل ينتظرون ذلك لا يشكون فيه وكأنوا يطئون أنه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا : ليس هكذا كان وعد إبراهيم عليه السلام فقال فرعون : كيف ترون ؟ فائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفار يطوفون فيبني إسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه ففعلوا ذلك فلما رأوا أن الكبار منبني إسرائيل يموتون بآجالهم والصغرى يذبحون قالوا : ليوشك أن تفنا ببني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي يكفوونكم فاقتلوها عاما كل مولود ذكر واتركوا بناتهم ودعوا عاما فلا تقتلوا منهم أحدا . فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار فإنهن يكتروا بمن تستحبون منهم فتخافوا مكارتهم إياكم ولم يفناو بمن يقتلون وتحتاجون إليهم فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة فلما كان من قبل حملت بموسى عليه السلام فوق في قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبير ما دخل عليه وهو في بطن أمه مما يراد به .

فأوحى الله إليها أن لا تخافي ولا تحزني إننا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فأمرها إذا ولدت أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم فلما ولدت فعلت ذلك فلما توأري عنها ابنتها أتتها الشيطان فقالت في نفسها : ما فعلت يابني لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن .

ألقيه إلى دواب البحر وحياته فانتهى الماء به حتى أوفى به عند مرتفعه مستقى جواري امرأة فرعون فلما رأينه أخذته فأردن أن يفتحن التابوت فقال بعضهن إن في هذا مالا وإنما فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه فحملته كهيئته لم يخرج منها شيئا حتى دفعنه إليها فلما فتحته رأت فيه غلاما فألقى الله عليه منها محبة لم يلق على أحد قط وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من ذكر كل شيء إلا من ذكر موسى فلما سمع الذباخون بأمره أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير . فقال لهم : أقروه فإن هذا الواحد لا يزيد فيبني إسرائيل حتى آتي فرعون فأستوهبه منه فإن وهبه لي كنتم قد أحستم وأجملتم وإن أمر بذبحه لم ألمكم فأنت فرعون فقالت : قرة عين لي ولك فقال فرعون : يكون لك فأما لي فلا حاجة لي فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذى يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداها ولكن حرمه ذلك " . فأرسلت إلى من حولها إلى كل امرأة لها لأن تختار له ظئرا فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل على ثديها حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج إلى السوق ومجمع الناس ترجو أن تجد له ظئرا تأخذه منها فلم يقبل واصبحت

أم موسى والها فقالت لأخته : قصي أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا هي ابني أم قد أكلته الدواب ؟ ونسألت ما كان الله وعدها فيه فبصرت به أخته عن جنب وهو لا يشعرون والجنب أن يسمو بصر الإنسان إلى شيء بعيد وهو إلى جنبه وهو لا يشعر به فقالت من الفرح حين أعيادهم الطورات : أنا أدلكم على أهل بيتك يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها فقالوا : وما يدرك نصهم له هل تعرفينه ؟ حتى شكوا في ذلك وذلك من الفتون يا ابن جبير .

قالت : نصهم له وشفقتهم عليه ورغبتهم في شهر الملك ورجاء منفعة الملك فتركوها فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر فجاءت أمها فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها فمضه حتى امتلا جنباه ريا وانطلق البشير إلى امرأة فرعون يبشرنها أن قد وجدنا لابنك طئرا فأرسلت إليها فأتت بها وبه فلما رأت ما يصنع بها قالت : امكثي ترضعي ابني هذا فإني لم أحبا شيئاً حبه قط قالت أم موسى : لا أستطيع أن أجع بيتي وولدي فيصيغ فإن طابت نفسك أن تعطيينيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آله خيراً فإني غير تاركة بيتي وولدي وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فيه فتعارضت على امرأة فرعون وايقنت أن الله منجز وعده فرجعت به إلى بيتها من يومها وأنبته الله نباتاً حسناً وحفظه لما قد قضى فيه . فلم يزل بنو إسرائيل وهم في ناحية القرية ممتنعين من السخرة والظلم وما كان فيهم .

فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى : أزيريني ابني فوعدتها يوماً تزيرها إياه فيه وقالت امرأة فرعون لخزانها وظورها وقها رمتها : لا يقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكراهة لأرى ذلك وأنا باعثة أميناً يحصي ما يصنع كل إنسان منكم فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمها إلى أن دخل على امرأة فرعون فلما دخل عليها .

بجلته وأكرمه وفرحت به ونحلت أمها لحسن أثرها عليه ثم قالت : لاتين به فرعون فلينحلنه وليركرمنه فلما دخلت به عليه جعله في حجره فتناول موسى لحية فرعون فمدّها إلى الأرض فقال الغواة من أعداء الله لفرعون : ألا ترى ما وعد الله إبراهيم نبيه أنه زعم أن يرثك ويعلوك ويصرعك فأرسل إلى الذبابين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير . بعد كل بلاء ابتلي به وأريد به فتونا فجاءت امرأة فرعون فقالت : ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي ؟ فقال : ألا ترين أنه يصرعني ويعلوني فقالت : اجعل بيني وبينك أمراً يعرف الحق به أنت بجمرتين ولؤلؤتين فقدمهن إليه فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل فقرب إليه الجمرتين واللؤلؤتين فتناول الجمرتين فاتنزعهما منه مخافة أن يحرقا يده فقالت المرأة : ألا ترى ؟ فصرفه الله عنه بعد ما كان قد هم به وكان الله بالغاً فيه أمره . فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد منبني إسرائيل

معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع فبينما كان موسى عليه السلام يمشي في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان أحدهما فرعوني والآخر إسرائيلي فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فغضب موسى غضبا شديدا لأنه تناوله وهو يعلم منزلته من بنى إسرائيل وحفظه لهم لا يعلم الناس إلا إنما ذلك من الرضاع إلا أم موسى إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره فوكز موسى الفرعوني فقتله وليس يراهما أحد إلا الله والإسرائيلي فقال موسى حين قتل الرجل : هذا من عمل الشيطان إنه عدو مصل مبين ثم قال : { رب إنني طلمت نفسي فاغفر لي فغر له إنه هو الغفور الرحيم } فأصبح في المدينة خائفا يتربص الأخبار فأتى فرعون فقيل له : إن بنى إسرائيل قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فقال : ابغوني قاتله ومن يشهد عليه فإن الملك وإن كان صفوقة قومه لا يستقيم له أن يقييد بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا لي علم ذلك أخذ لكم بحقكم فبينما هو يطوفون ولا يجدون ثبتا فإذا بموسى من الغد قد رأى الإسرائيلي يقاتل رجلا من آل فرعون آخر فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فصادف موسى قد ندم على ما كان منه وكره الذي رأى فغضب الإسرائيلي وهو يريد أن يبطش بالفرعون فقال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم إنك لغوي مبين فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعد ما قال له ما قال فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني فخاف أن يكون بعد ما قال إنك لغوي مبين أن يكون إياه أراد ولم يكن أراده إنما أراد الفرعوني فخاف الإسرائيلي وقال : يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس وإنما قال مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله فتثاركا وانطلق الفرعوني فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول : يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس . فأرسل فرعون الذابحين ليقتلوا موسى فأخذ رسل فرعون في الطريق الأعظم يمشون على هينتهم يطلبون موسى وهم لا يخافون أن يفوتهم فجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة فاختصر طريقا حتى سبّهم إلى موسى فأخبره بذلك من الفتون يا ابن جرير .

فخرج موسى متوجها نحو مدين لم يلق بلاء قبل ذلك وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه الله فإنه قال : { عسى ربى أن يهديني سواء السبيل ... ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان } يعني بذلك حا بستين غنمها فقال لهما : ما خطبكم معتزلتين لا تسقيان مع الناس ؟ قالتا : ليس لنا قوة نزاحم القوم وإنما نسقي من فضول حياضهم فسقي لهما يجعل يغترف في الدلو ماء كثيرا حتى كان أول الرعاء فا نصرفنا بgunها إلى أبيهما وانصرف موسى عليه السلام فاستظل بشجرة وقال : { رب إنني لما أنزلت إلي من خير فقير } واستنكر أبوهما سرعة صدورهما بgunها حفلا بطانا فقال : إن لكماليوم لشأننا فأخبرتاه بما صنع موسى فأمر إداهما أن تدعوه فأتت موسى فدعنته فلما كلمه قال : لا تخف نجوت من القوم الظالمين ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولسنا في مملكته فقالت

إحداهما : { يا أبى استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين } فاحتملته الغيرة على أن  
قال لها : ما يدريك ما قوته وما أمانته ؟ فقالت : أما قوته فما رأيت منه في الدلو حين  
سقى لنا لم أر رجلاً قط أقوى في ذلك السقى منه وأما الأمانة فإنه نظر إلى حين أقبلت إليه  
وشخصت له فلم علم أني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه حتى بلغته رسالتك ثم قال لي : امشي  
خلفي وانعثي لي الطريق فلم يفعل هذا إلا وهو أمين فسرى عن أبيها وصدقها وطن به الذي  
قالت فقال له : هل لك أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فإن أتممت  
عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين ففعل فكانت علىنبي  
الله موسى ثمان حجج واجبة وكانت سنتان عدة قضى الله عنه عدته فأتمها عشراً . قال سعيد بن  
جبير : فلقيتني رجل من أهل النصرانية من علمائهم قال : هل تدرى أي الأجلين قضى موسى ؟  
قلت : لا وأنا يومئذ لا أدرري فلقيت ابن عباس فذكرت له ذلك فقال : أما علمت أن ثمانية  
كانت علىنبي الله واجبة لم يكننبي الله لينقص منها شيئاً ويعلم أن الله كان قاضياً عن موسى  
عدته التي كان وعده فإنه قضى عشر سنين فلقيت النصراني فأخبرته ذلك فقال : الذي سأله  
فأخبرك أعلم منك بذلك قلت : أجل وأولى .

( يتبع . . . )